التحولات المعمارية والعمرانية بالأطلس الصحراوي وطرق معالجتها، منطقة لقصور أنموذجا.

Saharan atlas urban and architectural shifts and their ways of addressing, Laksour region case.

محمد أحمد عمار*[1]؛ نور الدين بن عبد الله.[2]

[1]. مخبر الدراسات التاريخية والإنسانية؛ جامعة الجلفة(الجزائر).

- البريد الإلكتروني: *m.ammar@univ-djelfa.dz*

[2]. مخبر الدراسات التاريخية والإنسانية؛ جامعة الجلفة(الجزائر).

- البريد الإلكتروني: *INZART1970@yahoo.fr*

تاريخ الإرسال: 2023/05/12؛ تاريخ القبول:2023/12/04؛ تاريخ النشر:2023/12/18.

الملخص:

تُعتبر عمارة منطقة جبال الأطلس الصحراوي نتاج أساليب معمارية ثابتة تتماشى مع معطيات البيئة الصحراوية الموجودة فيها، وبفكر يتوافق مع مبادئ العمارة الإسلامية.

تلك الأساليب تغيرت نتيجة للتحولات التي لحقت بالعناصر المعمارية والأنماط العمرانية لقصور المنطقة، حيث أصبحت لا تعكس هويتها الأصلية، ناهيك عن خطر الزوال الذي بات يهدد الكثير منها، لذلك بات من الضروري البحث عن حلول ناجعة مدروسة بكل دقة

*المؤلف المراسل.

وموضوعية حتى تقبل الإسقاط على أرض الواقع،فالموقف لا يحتمل المزيد من الأخطاء في اتخاذ القرارات.

تسعى هذه الحلول إلى إيجاد آليات فعّالة تتناسب ومعطيات كل قصر بهدف تغيير النظرة السلبية لإنسان المنطقة اتجاه الفكر الأصلي.

الكلمات المفتاحية: فكر معماري؛ الأطلس الصحراوي؛ قصور؛ تغير؛ حلول.

Abstract:

The Architecture of the saharan atlas region are considered the product of immutable architectural styles that align with the desert environment peculiarities and the principles of Islamic architecture.

These styles have dramatically changed due to the radical transformations that affected the architectural elements and the urban styles, no longer reflecting the original identity. Adding to that, the risk of disappearing threatens many of the region's Ksours. Therefore more than ever, the situation calls for careful and objectively studied practical solutions to be correctly projected on the ground. Indeed, the actual state of the Ksour does not tolerate more mistakes at the decision-making level.

These solutions aim to find effective adequate mechanisms that align with each ksour's specificity to change the negative and reactionary view of the region's people towards the original thought.

Keywords: architectural style; saharan atlas; ksours; reality; Solution.

مقدمة:

تتكون منطقة جبال الأطلس الصحراوي من عدد معتبر من القصور، إلا أنّ هذه الأخيرة باتت تعيش وضعا معقدا للغاية، نتيجة للتشويه الذي لحق بهويتها المعمارية، إضافة إلى حالات الهدم المتقدمة

*المؤلف المراسل.

التي طالت معظم مبانيها، وما زاد الأمر صعوبة سياسة عدم الاهتمام التي تنتهجها كل الجهات اتجاه هذا الإرث الثقافي المهم عوضا عن تحمل المسؤولية والتحرك لتجنيبه الأسوأ.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز الآليات الموضوعية التي يمكنها تحسين واقع هذه القصور، وهذا ما يقودنا للإجابة عن التساؤل الآتـي:

هل تكفي عمليات ترميم وإعادة تأهيل العناصر المعمارية لتصحيح وضع القصور المعماري والعمراني وتجنيبها خطر الاندثار؟ أم أنّه توجد حلول أخرى أكثر فعّالية وواقعية؟

انطلاقا من معطيات الوضع الراهن والتجارب السابقة نتوقع:

- تباين المعطيات بين قصر وآخر يفرض توظيف آليات مختلفة.
- تغيير فكر سكان القصور والمناطق المحيطة بها شرط أساسي لإعادة الاعتبار لقصور المنطقة.

لنتحقّق من صحة هذه الفرضيات اعتمدنا على كل من المنهج الوصفي والمقارن لدراسة ثلاثة قصور، وقد تعمدنا أن تتفاوت في حالتها بين من مسّها الترميم ومن لم يَمْسَسها وبين الحالة الجيدة والمتدهورة، كما حاولنا قبل ذلك تقديم إحاطة عامة عن مُميّزات عمارة وعمران القصور بمنطقة الأطلس الصحراوي وأهم التحولات التي طرأت عليها، لنتطرق في الأخير إلى أهم الآليات والحلول التي تتناسب وظروف كل قصر.

*المؤلف المراسل.

1- أساسيات العمارة والعمران بقصور الأطلس الصحراوي:

تُعتبر سلسلة الأطلس الصحراوي أطول سلسلة جبال في الجزائر، تتكون حلقاتها من الشرق إلى الغرب من جبال لقصور وجبال لعمور وجبال أولاد نايل إضافة إلى جبال الأوراس (رمضان محمد، 1965: 123)، وتتميز بندرة الأمطار التي لا تتجاوز 200 ملم سنويا، وبشتاء بارد وصيف حار وجاف(بوخلال خديجة، 2011: 4)، هذه الظروف فرضت فكرا معماريا وعمرانيا خاصا يتلاءم كذلك مع مبادئ الشريعة الاسلامية، فكلمة القصر تعني المكان الذي تقصر فيه الحرم وتحبس (ابن منظور، 1992 :411)،وأهم هذه المبادئ:

1-1- التخطيط المتراص والمتضام:

يُعتبر هذا التخطيط السمة البارزة في عمارة المناطق الحارة، فتعديل الحرارة يستوجب تقارب الجدران الخارجية للمباني، كما أنّ وجود الالتواءات بها كفيل بتوفير أكبر قدر ممكن من الظل (B.Nouibat et A.Tacherift, 2007 : 50)، ما يُجنِّب جزءا مهما من الواجهات الخارجية والأسطح أشعة الشمس، ويَحُدّ من الطاقة المتسربة إلى المباني، كما يساعد على التّحكم بحركة الهواء والحماية من الرياح الساخنة المحملة بالأتربة(إبراهيم علاء الدين، 2019: 1643).

1-2- الفناء الداخلي:

يُعدّ الفناء من العناصر المعمارية التي عالجت مشاكل البيئة المناخية بامتياز، فهو عبارة عن فضاء مفتوح أو شبه مفتوح في شكل فتحة علوية(مريدد عبد القادر، 2011: 103) يُسحب إليه عبر الفتحات الهواء الحارالمستهلك من داخل الغرف في فترات النهار، ليحدث العكس

*المؤلف المراسل.

ليلا بإدخال الهواء البارد ، وذلك وفق المبدأ الفيزيائي الذي يفيد بأن الهواء البارد أثقل وبالتالي ينزل إلى الطبقات السفلى فيما يصعد الهواء الساخن إلى الأعلى(عقيل فوزي، 2019: 457)،كما يُعتبر الفناء فضاء مناسبا للحركة والنشاط لأهل الدار ومكانا لتجمع أفراد الأسرة(باشيخ أسماء، 2021: 28).

1-3- تقليل الفتحات الخارجية:

تتمثل في النوافذ والأبواب، حيث تُصنَف على أنها نقاط الضعف في الأداء الحراري فهي تقوم برفع معامل التوصيل الحراري عبر الواجهات الخارجية التي تعتبر الأجزاء الأكثر تعرضا لأشعة الشمس، لذلك يتم توجيهها نحو الفناء الداخلي، ويكون حجمها صغيرا في أغلب الأحيان (عقيل فوزي، 2019: 457).

1-4- الساحات العامة:

تُعرف في كثير من المناطق الصحراوية بالرّحبة، وتطلق على الأرض الواسعة ، وهي تلك الفراغات غير المبنية(ابراهيم بن يوسف، 1992: 85)، وتستعمل لتجمّع أهل القصر وإقامة حفلاتهم، حتى أنّه يطلق عليها في بعض القصور ساحة البارود ، كما تُستغل كسوق، فهي بذلك تجمع بين الدور الاقتصادي والاجتماعي داخل القصر الصحراوي(سويقات ربيعة، 2020: 787).

1-5- المخازن:

تختلف فضاءات التّخزين من قصر لآخر، كما أنّ"الهدف الأساسي من بناء القصر هو تخزين المنتجات الزراعية والمواد الغذائية للقبائل المتاخمة لها أو الرحل"(حملاوي علي، 2006: 20).

*المؤلف المراسل.

1-6- التدرج الهرمي:

تمّ تنظيم مختلف المجالات والساحات والشوارع على أساس مبدأ التدرج بأسلوب دقيق حيث تفضي الشوارع الرئيسية إلى الثانوية ومنها إلى الممرات الضيقة فالممرات الخاصة، هذا التنظيم يعكس حجم الخصوصية الاجتماعية في القصور(مريدد عبد القادر، 2011: 164).

1-7- التحصينات الدفاعية:

تتمثل هذه التحصينات غالبا في سور خارجي يحيط بالقصر أو مجموع الجدران الخارجية للمساكن، وتُدَعم غالبا بأبراج، كما قد يحاط القصر ببعض الخنادق لتعزيز حمايته (يحياوي عبد الحليم، 2016: 81)، ويُستخدم السور أيضا للتّحكم في عمليات الدخول والخروج من القصر(بوخلال خديجة، 2011: 15).

1-8- مواد البناء المحلية:

يُعتبر الوسط الصحراوي مصدرها الأول وهو ما يسهل الحصول عليها، كما أنّها تتناسب مع الظروف البيئية التي توجد فيها من خلال قدرتها على تحسين الأداء الحراري داخل مباني القصور، وأبرز هذه المواد نذكر الحجارة بأنواعها والطوب والطين، إضافة إلى جذوع النخيل(مبارك هدي، 2016: 82).

2- الواقع العام الحالي لقصور الأطلس الصحراوي:

لم تشهد منطقة الأطلس الصحراوي توسعا كبيرا للمستعمر إلا أنّ ذلك لم يمنع وصول تأثيراته من شمال الجزائر إلى جنوبها، ويظهر ذلك جليا في التوسعات المجاورة للقصور(شاهد علي حيدر، 2019: 37).

*المؤلف المراسل.

كما عمد السكان إلى إضافة بعض الفضاءات الدخيلة على عمارة القصور مقابل الاستغناء عن أخرى أصلية، وهو ما أفضى إلى:

- حدوث شرخ كبير بين أنماط البناء في النواة الأصلية والتوسعات.
- أصبحت الفضاءات على مستوى التوسعات السكنية القريبة من القصور مفتوحة مع شوارع ذات تخطيط يتميز بالاستقامة والتّعامد.
- اختفاء عنصر الفناء بعد التغطية الكلية للأسقف القديمة بهدف تحويل هذا الفضاء إلى نشاطات أخرى.

3- آليات رد الاعتبار لعمارة وعمران القصور:

تُعتبر عملية رد الاعتبار تحدٍ صعب ومعقد أمام الأجيال الحالية والقادمة، فوضعية هذه القصور تزداد تدهورا بمرور السنوات لدرجة بات يصعب إن لم نقل يستحيل انقاذ بعض القصور التي تتجه نحو الزّوال، ورغم ذلك نحن مطالبون كأقل شيء باسترجاع تراثها اللامادي المتمثل في فكرها العمراني، لذلك يجب التّحلي بالواقعية والمسؤولية قبل اتخاد أي موقف، ونقترح اتباع الآليات التالية:

3-1- قراءة النسيج العمراني:

يُقصد بها عملية تحليل جميع معطيات النسيج العمراني، ويعتمد هذا المبدأ على إمكانية اعتبار القصر نسيج عمراني حي، كما يمكن اعتباره متحف في الهواء الطلق، لذلك تُعتبر التفاصيل مهمة في اختيار نوعية الحلول، فمعالجة قصر في حالة جيدة تختلف عن آخر في حالة متقدمة من التدهور، كما أنّ قراءة النسيج العمراني تقوم أساسا على

*المؤلف المراسل.

تحليل تيبومورفولوجي يعتمد على تقسيم النسيج العمراني إلى عناصر بغرض اظهار الاختلافات المرتبطة بالعلاقة بين التنظيم المجالي والممارسات الاجتماعية (Philippe Panerai, 1978 : 91).

3-2- استرجاع الهوية:

قبل أن نخوض في مفهومها يجب أن نشير إلى أنّ الأنثروبولوجيين من أمثال تايلور ومورغان يؤكدون أنّ فكر الإنسان هو نفسه في جميع الأماكن فالكل يفكر بالطريقة نفسها ويطور ثقافته في خطوط متشابهة، كما أنّ الجميع يتمتع بالذكاء نفسه، غير أنّ البيئة هي من تصنع الفوارق الموجودة (مشاري عبد الله النعيم، 2013: 13).

ويُقصد باسترجاع الهوية عودة فكر الإنسان الذي جعل "التعايش مع البيئة واحترام الدين والتقاليد معيارا أساسيا لتشكيل هويته المعمارية التي كانت جزءا من الهوية الثقافية للمجتمع، وصناعتها لا يمكن أن تحدث إلاّ من خلال تفاعل جماعي تاريخي مع وجود درجة عالية من الإحساس بروح المسؤولية الجماعية"(محمد العلفي ، 2009: 129).

يُعتبر البحث عن الهوية محاولة مشروعة لمقاومة التغريب الذي وصل إلى منطقة الأطلس الصحراوي في شكل تقليد غير مدروس للعمارة الغربية، دون مراعاة قواعد معروفة تكون حلقة وصل بين العمران الأصلي والمتطلبات الجديدة. (بوجمعة خلف الله، 2003: 100) كما أشار وليام اوريلي" *William Orielle*" إلى أنّ القيم العالمية ليست بالضرورة صالحة للجميع، فالثقافات الخاصة لها احتياجات معمارية خاصة تخضع للخصوصية الإقليمية والمحلية(محمد العلفي، 2009: 129).

*المؤلف المراسل.

وقد حان الوقت لتقديم نماذج محفزة وناجحة باستعمال عناصر معمارية أصلية قادرة على التكيف مع متطلبات الحاضر، فذلك سيكون محفزا ودافعا لتغيير النظرة السلبية للسكان اتجاه هويتهم الأصلية.

3-3- تطبيق القوانين:

أصبح ضروريا التّركيز على آليات تطبيق القوانين وسنتطرق تحديدا للقانون 98/04 المتعلق بحماية التراث الثقافي المادي والمرسوم التنفيذي 19/15، هذا الأخير وإن كان غير معمول به في الميدان الأثري لكن بإمكانه أن يكون وسيلة فعالة ضد عمليات التشويه التي طالت المباني الأصلية، في ظل ظهور توسعات جديدة أصبحت وجهة مفضلة للنزوح نحوها، وقد شُيدت بأسلوب مستحدث وبعناصر دخيلة عن العمارة الأصلية، وجاء مضمون هذين القانونين كما يلي:

أ. القانون رقم 98-04:

يهدف هذا القانون الذي أعتمد في 15 يونيو 1998 إلى حماية التراث الثقافي (98-04، 1998: 2)، حيث نجد عددا مهما من مواده تتناسب والأهداف المرجوة لرد الاعتبار لهذه القصور، حيث:

تنص المادة 23 على أنَ أي رخصة بناء أو تعمير تخص المناطق الأثرية لا يتم إصدارها إلا بموافقة المصالح المكلفة بوزارة الثقافة، كما أن المادة 30 تحدد القواعد العامة للتنظيم والبناء سواء بالمناطق الأثرية المحمية أو بمناطق التوسعات(98-04، 1998: 8).

تؤكد المادة 41 على وحدة وتجانس المباني فنيا وجماليا ومعماريا، كما تنصّ المواد:43، 44، 45، على ضرورة تزويد المناطق

*المؤلف المراسل.

الأثرية على غرار القصور بمخطط دائم للحماية والإصلاح يحل محل مخطط شغل الأراضي(98-04، 1998: 10).

وخُصِّصت المواد: 82، 84، 87، لأجراء صيانة دورية للتراث المادي بصفة عامة (98-04، 1998: 16) والقصور الصحراوية بصفة خاصة.

ب. المرسوم التنفيذي 19/15:

تم سن هذا المرسوم المتعلق بكيفيات تحضير عقود التعمير وتسليمها في 25 يناير2015م (15/19، 2015: 2)، وأكثر فصلين في هذا القانون يتناسبان مع أهداف بحثنا هما الثاني المتعلق برخصة التجزئة والثالث المتعلق برخصة البناء (15/19، 2015: 13).

ويُقصد قانونيا بالترخيص أو رخصة البناء "أخذ الإجراءات الوقائية التي تحدد ماهية المبنى المُرخص به وذكر مواصفاته وبيان الغرض منه سكني أم وظيفي أم تجاري، وتستخدمها سلطات الضبط الإداري لوقاية الدولة وأفرادها من الأضرار التي قد تنجم عن ممارسات الحريات والحقوق الفردية، وحماية المصالح العامة والخاصة"(السيد أحمد المرجان، 2002: 89).

يساعدنا توظيف هذا المرسوم التنفيذي على فرض العناصر المعمارية والتنظيمات العمرانية التي تتوافق مع النمط الأصلي، وذلك على النحو التالي:

إجبارية الفناء الداخلي:

فرض الفناء الداخلي في مخططات رخص بناء مباني التوسعات أو في رخص البناء التعديلية الخاصة بالمساكن القديمة داخل القصور وذلك بتطبيق المادة 43 التي تنص على "ضرورة احترام طريقة بناء الجدران

*المؤلف المراسل.

والأسقف بما يتناسب ومخطط الهندسة المعمارية مع احترام خصوصية الموقع"(15/19، 2015: 13).

تحديد مواد البناء:

يجب أن تحتوي البيانات الكمّية المرافقة لمخططات البناء على مواد بناء محلية خصوصا الحجارة والطوب إضافة إلى استعمال أخشاب محلية للتسقيف وذلك استنادا إلى نفس المادة السابقة رقم43.

الواجهات:

يجب أن تَحترم الواجهات المطروحة للتعديل أو إعادة البناء نفس نمط واجهات المباني الأصلية من خلال منع استعمال التلبيس الإسمنتي أو فتح نوافذ كبيرة في المخططات التعديلية، ويمكن الاستناد في ذلك على المادة رقم 41 التي تنص على أنّ "أي أشغال تغيير في واجهة أو هيكل البناية تستوجب الحصول على رخصة بناء طبقا لأحكام المواد 49 و50 و55 من القانون رقم 90-29 المؤرخ في 1 ديسمبر 1990"(15/19، 2015: 13).

النسيج العمراني:

سيسمح بحل عدة مشاكل يعاني منها النسيج العمراني وأبرزها: غياب التخطيط المتضام في التوسعات الجديدة:

يُعالَج هذا المشكل بتطبيق مواد الفصل الثاني الخاص برخص التجزئة خصوصا المادة رقم 9 التي تحدد بشكل خاص موقع وطبيعة البنايات المبرمجة وشكلها العمراني(15/19، 2015: 7)،والمادة رقم 11 التي تنص على ضرورة احترام مخطط شغل الأراضي بالمناطق المعنية بالبناء (15/19، 2015: 7-8).

*المؤلف المراسل.

انسجام المباني:

يمكن فرض تجانس بصري بين مباني النسيج العمراني سواء داخل القصور أو بتوسعاتها وهذا بتطبيق المادة السابقة (رقم11) التي تنص كذلك على ضرورة احترام المناظر الطبيعية والحضارية وطابع الأماكن المجاورة (15/19، 2015: 8).

البنايات في طريق الإنجاز بطابع غير أصلي:

يسمح هذا القانون بإلغاء رخص البناء التي صدرت بمخططات حديثة وإعادة مراجعتها وذلك بتفعيل المادة رقم 21 التي تنص على أنّ" مخطط شغل الأراضي أو مخطط الحماية والإصلاح يمكنه أن يعدّل من طبيعة البنايات المبرمجة للبناء أوالتعديل حتى لو استفادت من رخص بناء أو تجزئة مسبقة وهذا حرصا على المحافظة على الطبيعة العمرانية والمعمارية والتحكم فيها" (15/19، 2015: 9-10).

أجهزة تنفيذ قانون 19/15:

يحرص على تطبيق هذا القانون ممثل عن إحدى الهيئات المعنية بحماية التراث المادي عند دراسة الملف التقني الخاص برخص البناء أو التعديل كما تنص المادة 47 (15/19، 2015: 16)، أما في مرحلة التنفيذ فتُعيَن لجنة خاصة بعقود التّعميرتسهرعلى مطابقة أشغال الرّخص الصادرة، ولها صلاحية تحرير محاضر ضد الأشغال غير المرخصة ليتّم إيقافها واتّخاذ الإجراءات الردعية في حق أصحابها وذلك حسب المادة رقم 90 (15/19، 2015: 23).

3-4- الاستفادة من استخدام نظم المعلومات الجغرافية" *SIG*":

*المؤلف المراسل.

هو نظام تشغيلي يدمج البيانات والأهداف للخروج بمعلومات ذات مغزى (Miller,1992 :519-520)، خصوصا عندما يكون صنع القرار أمرا معقدا ما يخلق الحاجة لأدوات تحليلية ذات فعالية (Miller,1992 :521) ويتم ذلك بتجميع الخرائط والصور الجوية وصور القمر الاصطناعي، إضافة إلى استعمال نظام تحديد المواقع العالمي"*GPS*" (بلحرش حسين، 2018: 104-105)، تعتبر البيانات الأثرية والبيانات الجغرافية والمكانية جد معقدة غير أنه يتم تنظيمها في طبقات مرتبة على حسب المواضيع (Barge Olivier,2004 :20).

يمكن لهذه النظم تقديم حلول فعالة تغير واقع القصور المعقد من خلال تحليل البيانات المكانية "*SDA*"، وذلك بتحديد حيز الدراسة ومعرفة أهم استخداماته(سكن،تربية الماشية،مهجور...الخ) وإبراز أثر العوامل الطبيعية والبشرية عليه ،مع اخضاعه لدراسة طوبوغرافية للتمييز بين مختلف مناطقه (Michael Gooldchild ,1992 :409).

4- نماذج الدراسة:

اخترنا ثلاثة قصور تقع بجبال لقصور التي تمتد انطلاقا من مدينة فقيق المغربية وصولا إلى مدينة البيض، حيث تشكل حاجزا بين الصحراء الكبرى والصغرى، وقد سميت بجبال لقصور لوجود عدد كبير من القصور محاذي لهذه الجبال (Mensier,1914 :24).

دراستنا لهذه القصور تحديدا لكونها من نفس المنطقة وبالتالي نحافظ على نفس العامل الجغرافي، أما السبب الأهم كونها تتفاوت في حالات مبانيها بين المهدمة والجيدة نسبيا وهو ما يسمح لنا باكتشاف أقصى حد من الآليات التي يمكن توظيفها للوصول للهدف المسطر.

*المؤلف المراسل.

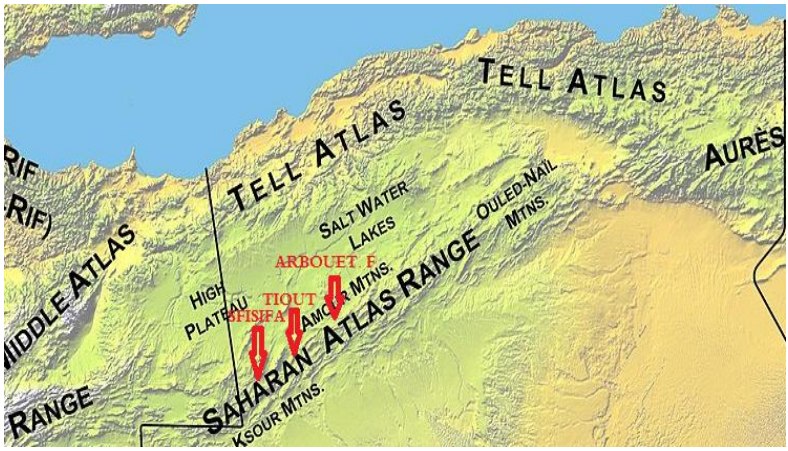

خريطة رقم 1: مواقع قصور الأطلس الصحراوي المدروسة.

أ. قصر مغرار التحتاني(قلعة الشيخ بوعمامة):

يحده شمالا منطقة تيوت ومغرار الفوقاني الذي يبعد عنه بـ 10كلم، وجنوبا البنود وواد الجديدة ولوليدات وبلاد البرد، وغربا حدود المملكة المغربية، أما شرقا فنجد الكدوة، فيما يتربع على مساحة تقدر بهكتار ونصف. (مباركي عبد المجيد، 2001: 5)، أما موقعه الفلكي فينحصر بين دائرتي عرض 36-37 وخطي طول 2-3 غرب قرينيتش (Mensier,1914 :24).

يعتبر المسجد العتيق أهم مكونات القصر ويقع في الوسط بجانب السوق، غير أن موقعه أصبح أمام أحد مداخل القصر الرئيسية المسمى الشرافة بعد هدمه من قبل الاستعمار الفرنسي في أفريل سنة 1847م(مباركي عبد المجيد، 2001: 34)، وهناك أربعة مداخل تتصل مباشرة برحبة القصر من خلال أزقة تربطها بها.

كما تكثر ظاهرة الأضرحة في مغرار التحتاني، وقد بنيت في الجهة الغربية للقصر وهي الجهة نفسها التي عرفت بناء الأبراج، فيما

*المؤلف المراسل.

لحقت عدة انهيارات بمساكن القصر التي في الغالب ذات طابق علوي، وقد عرف هجرة سكانه نحو مدينة مغرار التحتاني "الجديدة".

تعتبر مادة الطين هي المادة الأساسية للبناء، كما تستعمل مادة الصلصال المحلية إضافة إلى" الحجر المسطح أو المادون الذي يستعمل في بناء درجات السلالم والمشكاة والساكف الذي يسمى ايضا بالمنار"(مباركي عبد المجيد، 2001: 65).

أما عن واقع القصر اليوم:

فقد تغيرت وظيفته من السكن إلى مكان لتربية الماشية والأنعام وهو ما أثر كثيرا على التركيبة المعمارية لمبانيه، حيث تعرضت بعض جدرانها للهدم بدافع الحصول على مساحات تتناسب مع هذه الوظيفة الجديدة.

تُعتبر نسبة التحديث قليلة لسبب واحد هو أنّ القصر تمّ هجرته ولم يُطرح لفكرة السكن مرة أخرى، فيما انهارت معظم أسقف مبانيه.

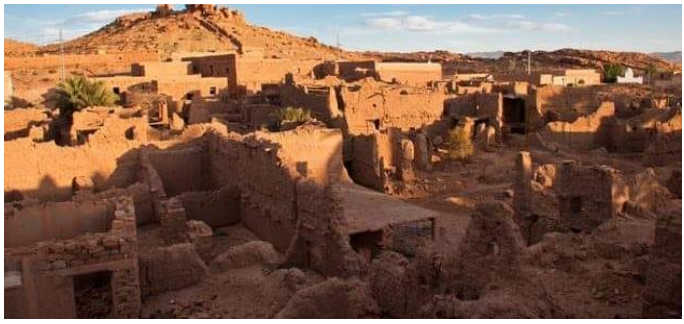

صورة رقم 1: منظر جانبي لقصر مغرار التحتاني.

ب. قصر أربوات الفوقاني:

يعتبر هذا القصر أحد المجمعين السكنيين المكونين لبلدية أربوات، إلى جانب أربوات التحتاني مقر هذه البلدية، ولا يفصله عنه إلا

*المؤلف المراسل.

3 كلم، ويبعد أربوات الفوقاني 100كلم عن مقر الولاية البيض، و20كلم نحو الجنوب عن الأبيض سيدي الشيخ مقر الدائرة المنتمية لها(يحياوي عبد الحليم، 2016: 13)، وتقدر مساحته بـ هكتارين(يحياوي عبد الحليم، 2016: 52)، فلكيا تنحصر أربوات بين دائرتي عرض 2'00°33 وخطي طول 56'34°0 (حنان عطية، 2011: 8).

هو الآخر يشكل المسجد والسوق مركز قصبته، ويتميز بوجود سكنات متلاحمة ودروب ملتوية.

يتميز بوجود مدخل وحيد في الجهة الغربية أين توجد البساتين عكس القصرين الآخرين المتواجد بهما أربعة مداخل تتجه كلها نحو الوسط، كما تحيط به الأضرحة من ثلاث جهات باستثناء جهة المدخل، وهو محصن بسور وأبراج دفاعية من جهاته الأربع.

كما لجأ السكان إلى بناء مخازن تحت الأرض حتى يتمكنوا من وضع الأساسات في مستوى التربة الجيدة بحكم"هشاشة الربوة الطينية التي بني فوقها القصر"(يحياوي عبد الحليم، 2016: 52).

أما عن واقع القصر اليوم:

أصبح في حالة هدم جد متقدمة، حيث تعرضت معظم جدران مبانيه إلى الانهيار لدرجة تآكل أساساتها.

صورة رقم 1: منظر جانبي لقصر أربوات الفوقاني.

*المؤلف المراسل.

ج. قصر تيوت:

يقع قصر تيوت على بعد حولي 17كلم غرب مدينة عين الصفراء، على ضفاف وادي تيوت المتفرع عن واد ناموس. (ابن شنهو نجية، 2004: 86)، وينحصر فلكيا بين دائرتي عرض 32°-33° شمالا وخطي طول 2°-3° غربا(Mensier,1914 :24).

تتميز دروب قصر تيوت بالاتساع مقارنة بدروب القصرين السابقين وهوما يرفع معامل التوصيل الحراري عبر الواجهات الخارجية، لذلك نجد بعضها مسقوفة لحماية الأهالي من أشعة الشمس، وكما ذكرنا سابقا يوجد أربعة مداخل تتجه كلها نحو المسجد الموجود في الوسط، ولا يخلو هذا القصر من الأضرحة حتى أننا نجد أن بعضها تقع داخل البيوت.

بُنيت جُل مباني القصر من الطين الأحمر إلى جانب الحجارة المشذبة، مع استعمال جريد النخيل وبعض أنواع الخشب في التسقيف.

أما عن واقع القصر اليوم:

فهو أكثر تعقيدا من سابقيه ليس بسبب حجم الدمار الذي عرفه، ولكن لحجم التشويه الذي طاله، ورغم أنّه عرف عدة عمليات ترميم قامت بها بعض المقاولات إلاّ أنّها لم تكن بالأسلوب الصحيح، كما اقتصرت على مجموعة محدودة من المباني، وما زاد الوضع صعوبة عمليات البناء العشوائية التي قام بها الأهالي(صورة رقم3).

*المؤلف المراسل.

صورة رقم3: منظر جانبي لقصر تيوت يبرز عمليات التحديث.

5- الحلول المقترحة:

تختلف الآليات المطبقة في القصور الثلاثة من حيث الأولوية والترتيب وهذا لتتوافق مع معطيات كل قصر، ونلخصها حسب الآتي:

5-1- التدخل بقصر مغرار التحتاني:

تتَدخل السلطات في هذا القصر لإيقاف ظاهرة تربية الماشية والأنعام كأول خطوة مع تقديم بدائل لذلك بمنح المربين فضاءات خارج القصر يتم تهيئتها مسبقا، وتُؤطر العملية بقوانين صارمة.

بعد تجاوز هذه المرحلة تأتي مرحلة إعادة استغلال المباني بما يتناسب ومعطيات القصر(الصورة الجوية رقم 1).

5-2- التدخل بقصر تيوت:

تعتبر عمليات التحديث العشوائي والترميم غير الصحيح أكبر مشكل يجب حله، ولا سبيل لذلك إلا بتطبيق نصوص القانون رقم 98/04، في المقابل يجب فرض رخص تعديلية مدروسة حسب المرسوم التنفيذي (19/15).

*المؤلف المراسل.

بعد القضاء على عمليات التشويه تأتي مرحلة إعادة الاستغلال على غرار ما اقترحناه بالقصر السابق (الصورة الجوية رقم2).

5-3- التدخل بقصر أربوات الفوقاني:

تستدعي وضعية هذا القصر تدخلا مغايرا بحكم أنّ جميع أجزائه في وضعية انهيار كلي تقريبا، لذلك يجب إتباع مخطط إعادة الاستغلال المناسب للمباني المتدهورة (التفصيل في العنوان الموالي).

5-4- مخطط إعادة الاستغلال:

نقصد به وضع خطط واقتراحات موضوعية تتلاءم مع وضعية مباني كل قصر، مبدؤه هو استرجاع أو الحفاظ على أكبر قدر ممكن من العناصر والفضاءات في كل قصر حتى وإن اقتضى الأمر التخلي عن بعضها أو تغيير وظائفها، ويتم ذلك حسب الأولوية والقدرة على الاسترجاع، وهذا على النحو التالي:

المباني المتدهورة:

يتم ترميمها بالأسلوب الصحيح ليعاد استغلالها في شكل ورشات للحرفيين مع امكانية ربطها بالشوارع الرئيسية لتشكل شريان تجاري تغذيه منتوجات هذه الورشات(صورة ثلاثية الأبعاد1 و2).

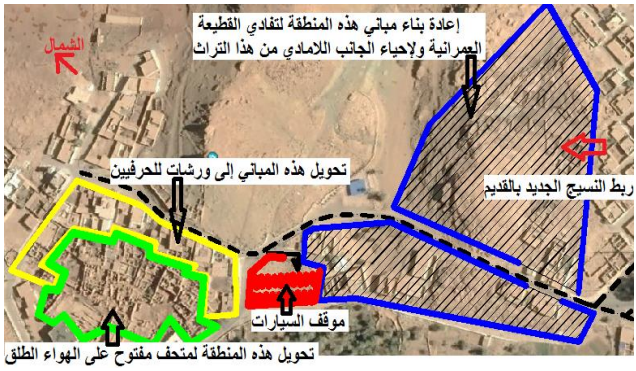

الصورة الجوية رقم 1: مخطط إعادة استغلال قصر مغرار التحتاني- وجهة نظر مقترحة من قبل الباحث

*المؤلف المراسل.

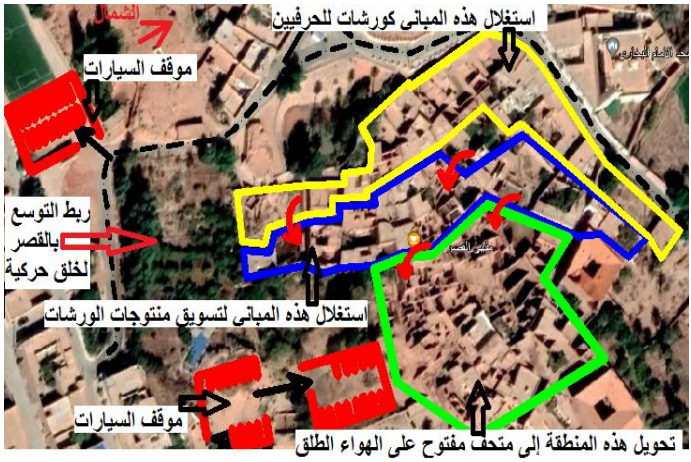

الصورة الجوية رقم2: مخطط إعادة استغلال قصر تيوت وجهة نظر مقترحة من قبل الباحث

المباني في طريق الاندثار:

تعتبر الجزء الأكثر صعوبة وهي تحتمل موقفين، إما إعادة بناء الأجزاء المنهارة وفق النمط الأ صلي وت شجيع ال سكان على العودة إلى ا ستغلالها (الحفاظ على الجانب اللامادي) مع ضرورة الحفاظ على معالم الجدران الأ صلية بتركها بارزة مع ترميمها(الحفاظ على الجانب المادي)، وإما تجنب إعادة البناء والاكتفاء بترميم ما تبقى من الجدران دون المساس بهيكلها مع تهيئة هذه المنطقة لاستغلالها كمتحف مفتوح على الهواء الطلق، شرط أن لا تُ ستغل المباني المحيطة بها لوظيفة ال سكن لتفادي القطيعة العمرانية "*rupture urbaine*" داخل ذ سيج القصر(صورة ثلاثية الأبعاد 1و2).

*المؤلف المراسل.

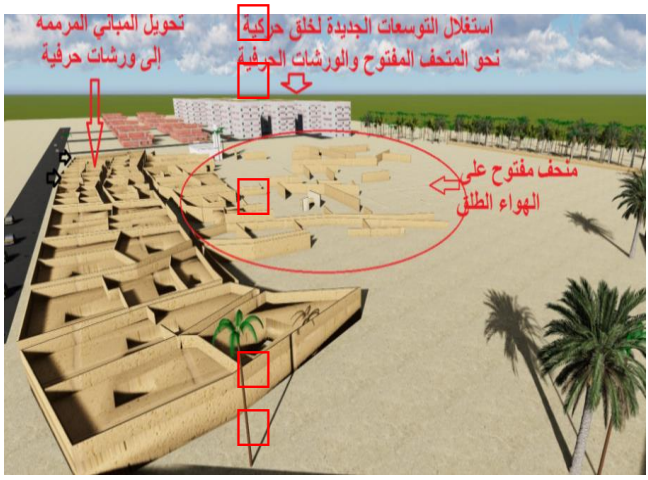

الصورة ثلاثية الأبعاد رقم1: تبين إعادة استغلال مباني القصر- أنموذج عام من عمل الباحث

الصورة ثلاثية الأبعاد رقم 2: تظهر خلق حركية نحو القصر- أنموذج عام من عمل الباحث

خاتمة:

بعدما تطرقنا إلى أهم مُميّزات عمارة القُصور الصحراوية وأساليبها العمرانية مرورا بالحديث عن التلف والتشويه الذي طالها، يمكننا القول أنّ تغيير هذا الواقع بات مسؤولية الجميع، فإما إنقاذ ما

*المؤلف المراسل.

تبقى من مباني القصور وإما فقدان آخر الرموز الشاهدة على الهوية الأصلية لهذه المنطقة القائمة على فكر معماري يحفظ التوازن بين الانسان وطاقته وبيئته.

وحتى نعود بالتقاليد المعمارية والعمرانية إلى سابق عهدها يجب الاقتناع بأنّ عمليات ترميم مباني القصور لن يكون لها معنى لو لم تُتبع بإعادة استغلالها بالشكل المناسب.

نستخلص من الآليات التي تطرقنا إليها أنّ استرجاع الفكر المعماري الذي أسّس هذا التراث المادي مرهون بتقديم نماذج جديدة على المواقع نفسها أو بالقرب منها تجمع بين العناصر المعمارية الأصلية وعناصر الراحة التي تفرضها الحياة المعاصرة.

كما نأمل مستقبلا توجيه المهندسين المعماريين والحَضَريين نحو التركيز أكثر عند رسم مخططاتهم على اعتماد مبادئ النمط المعماري والعمراني الأصلي، بشكل يجعل هذا الأخير جاذبا وليس طاردا لسكان منطقة الأطلس الصحراوي كما هو عليه الحال.

قائمة المصادر والمراجع:

1- باشيخ أسماء، (2021). «عمارة المنزل التقليدي بمدينة أدرار بين وظيفة التصميم والحفاظ على الهوية». ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي السابع التراث والسياحة والفنون بين الواقع والمأمول، **مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية**، عدد خاص رقم2، أفريل2021، ص.ص 16-43.

2- بلحرش حسين، (2018). **تطبيق نظام المعلومات الجغرافية على مواقع الفن**. أطروحة دكتوراه غير منشورة (آثار ما قبل التاريخ)، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله معهد الآثار، الجزائر.

3- بوخلال خديجة، (2011). **قصر تاجموت بولاية الأغواط**. رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة الماجستير. معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر.

*المؤلف المراسل.

4- حملاوي علي، (2006). **نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية**. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

5- خلف الله بوجمعة، (2003). «المدينة الجزائرية والبحث عن الهوية». ***Courrier Du Savoir***، العدد رقم 04، ص. ص 95-101.

6- سويقات ربيعة، (2020). «خصائص العمارة التقليدية الصحراوية». **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد 12، العدد03، ص.ص781-792.

7- السيد أحمد المرجان، (2002). **تراخيص أعمال البناء والهدم بين تشريعات البناء والأوامر العسكرية والقرارات الوزارية وأحدث أحكام القضاء**. القاهرة: دار النهضة العربية.

8- شاهد علي حيدر، (2019). **تأثير النمو العمراني على واقع وشكل الفضاء العمومي للمدن الصحراوية**. أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

9- بن شنهو نجية. (2004). **المساجد القديمة في قصور عين الصفراء- صفيصفة وتيوت ونموذجا**، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر

10- عطية حنان، (2011). **دراسة تحليلية وصفية لقصر أربوات بولاية البيض**، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة الماجستير (الآثار الاسلامية). معهد الآثار جامعة الجزائر2، الجزائر.

11- عقيل فوزي محمد، حمزة محمد أبو بكر الخازمي، (2019). «الاستدامة في العمارة الصحراوية، دراسة وتحليل المعالجات المستخدمة لتقليل الكسب الحراري في المناطق الصحراوية». **ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الهندسي الثاني للمهن الهندسية**، الزاوية، ص. ص 442-459.

12- علاء الدين عبد الرحمان إبراهيم. (2019). «السمات المشتركة لعمارة الصحراء الكبرى المدخل البيئي للتصميم في المناطق الحارة الجافة». **جريدة جامعة الأزهر- قسم الهندسة**، المجلد 14، العدد53، ص. ص 1633-1648.

*المؤلف المراسل.

13- القانون رقم 98-04. (1998). «حماية التراث الثقافي». **الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية**، العدد17،44يوليو1998، الجزائر: المطبعة الرسمية.

14- مبارك هدي. (2016). **أعمال ترميم للمنشآت الدفاعية بقصر تمنطيط**. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، الجزائر.

15- مباركي عبد المجيد، (2001). **قصر مغرار التحتاني دراسة أثرية ومعمارية**، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر

16- محمد الصالح رمضان، (1965). **مبادئ الجغرافيا العامة وموجز جغرافية الجزائر**. الجزائر: الشركة الجزائرية.

17- محمد العلفي محمد، (2009).«الهوية الثقافية الوطنية وأثرها في خصائص الهوية المعمارية». ورقة عمل مقدمة إلى **المؤتمر الهندسي الثاني**، جامعة عدن، 31-30مارس، عدن.

18- المرسوم التنفيذي 15/19، (2015). «كيفيات تحضير عقود التعمير وتسليمها»، **الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية**، العدد12،7فيفري2015، الجزائر: المطبعة الرسمية.

19- مريدد عبد القادر، (2011). **الاستدامة والتشكيل العمراني في مدن الواحات بين تجارب الماضي والواقع القائم**- رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر.

20- مشاري عبد الله النعيم، (2013). «عبقرية المكان في التراث العمراني السعودي». ورقة عمل مقدمة إلى **ملتقى التراث العمراني الوطني الثالث أبحاث وآثار**، الهيئة العمة للسياحة والآثار،8-12ديسمبر2013، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

21- ابن منظور جمال الدين. (1992). **لسان العرب**، ج6، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

22- يحياوي عبد الحليم، (2016). **مشروع أعمال الترميم- قصر أربوات الفوقاني**. أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

*المؤلف المراسل.

23- ابن يوسف ابراهيم. (1992). **إشكالية العمران والمشروع الإسلامي**، ط1. الجزائر: مطبعة أبو داوود.

24- Barge Olivier et d'autre .(2004) ."*L'utilisation des systèmes d'information géographique appliquée à l'archéologie Française* ". *ArchéoSciences.* ***Revue d'Archéométrie***. N° 28. 2004.pp 15-24

25- Marius Thériault and Marc Miller *.(1992) ."Geographical Information Systems. Principles and applications,de D.J. Maguire et al".* ***Cahiers de géographie de québec***. Vol 36. N° 99.1992 .pp515-525.

26- Mensier(c),*territoire militaire d'ain safra(sud oranais)*.***Exposé de lasituation géograpghique et administrative.sociéte et finance de 1906à1912BSGOT34 ,1914*** .

27- Michael Gooldchild, Robert Haining, et d'autre *.(1992) ."Integrating GIS and spatial data analysis;problems and possibilities".* ***international Journal of Geographical Information Systems***. Vol 06.pp407-423

28- Nouibat.B et Tacherift.A *.(2007) ." L'- Occupation Optimale Du Sol Urbain A L'Habitation Individuelle Dans Les Regions Arides".* ***Scieces &Techologie.*** *D.* N°*25*.juin 2007.pp 50-64

29- Philippe Panerai et autre .(1978) ."***Eléments d'analyse urbaine***" .paris: Dunod.

*المؤلف المراسل.